

بسم الله الرحمن الرحيم

إن موضوع كلمتي ينطلق من العنوان الموضوع خلفي وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم " أنا مدينة العلم وعلي بابها ". فلما تكون قيمة كل أنسان بمقدار علمه، ولما يمتاز شأن الموجود البشري عن باقي ذوي الحياة بقدرته على الكسب غير المحدود تقريباً للمعرفة، ولما كان أول ما فضل الله سبحانه آدم عليه السلام على الملائكة بأن جعله موضع علمه بعد أن منحه الحياة بالنفخ فيه من روحه، وبعد ما استوعب آدم ذلك العلم من ربه أمر الملائكة بالسجود له تكريماً وتعظيماً وإذعاناً منهم بفضله عليهم، ولما كانت مهمة الأنبياء والرسل جميعهم تعليم الأقسام الذين أرسلوا إليهم من قبل الله سبحانه وتعالى، ولما كانت منة الله على المؤمنين بأن بعث فيهم رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وهو خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولما نرى في زماننا أن الأمم تتفاخر بمدى تقدمها العلمي على غيرها، وترى الشعوب المتقدمة في مجال العلم والمعرفة أن من حقها رسم طريق الأمم التي تفتقد تلك الميزة بحسب رأيها، وأن تلك الأمم يجب أن تسير على هدي إرشاداتها في مختلف المجالات لما تمتاز به من التفوق العلمي.

أمام هذه الحقيقة التي تنطلق من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، نرى أن شخصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تسطع كالشمس في رابعة النهار متجاوزة كل الحواجز الزمانية والدينية ومن مختلف الأنواع؛ فالذي يقول بأعلى صوته أنه لو استقرت الأوضاع له وخرج من حالة الحرب التي فرضت عليه في وقعات الجمل وصفين والنهران، فإنه سيقضي بين كل أبناء أمة من الأمم وفق شريعته هي وفي ظل الدولة الإسلامية التي يقودها هو: " أَمَا وَاللَّهِ لَوِاسْتَقَامَتْ لِي الْأُمَّةُ، وَتُبَيْتَ لِي الْوِسَادَةُ، لَأَفْتَيْتُ لِأَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ، حَتَّى تَنْطِقَ لِي التَّوْرَةُ فَتَقُولَ: صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ؛ لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِيَّ. وَأَفْتَيْتُ لِأَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ حَتَّى يَنْطِقَ الْإِنْجِيلُ فَيَقُولَ: صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ؛ لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِيَّ. "

ومعلوم أن القيام بهذا العمل والتصدي لأمر التشريع والفتيا يحتاج أولاً إلى معرفة كاملة وشاملة بنصوص ومعاني مصادر التشريع لدى كل أمة من تلك الأمم والقدرة الفائقة على استخراج الأحكام لأتباع تلك الديانات من كتبهم السماوية وطبقاً لأصولهم الدينية بمنأى عن اعتقاد المفتي بصحة شريعته التي يعتنقها.

فأن يكون علي عليه السلام قادراً على القضاء بين المسلمين والفصل في أمورهم الدينية والدينية بأفضل طريقة على الإطلاق فهذا ما يشهد عليه ويقرّ به الموالي والمعادي منذ أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حيث صرح لجميع المسلمين بقوله: " أقضاكم علي "، وأعلن إذعانه بهذه الخصوصية وتفرد به هذه الميزة كل فطاحل الصحابة والخلفاء وأشهر إقرار بذلك عبارة الخليفة عمر بن الخطاب: " لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن "، ولولا علي لهلك عمر. وأفصح عن حقيقة فرادته العلمية أعدى أعدائه والمتهمين له بالكفر والمكئين له غاية الكراهية وهم الخوارج بقول أحدهم: قاتله الله كافراً ما أفقهه.

وقد صرح التاريخ بأن بعض القضايا الشائكة التي كان يعجز كبار الصحابة عن البتّ فيها كان يرى الإمام علي عليه السلام الجواب عليه أهون من فتّ قبضة من التراب في يده وهو مشغول بسقي الأشجار في بستانه يتصبب عرقاً، وأن بداهته في الإجابة الصحيحة على معضلات الأسئلة في كافة المجالات يُضرب بها المثل عند الرواة وأهل العلم، وأن معاوية مع ما كان بينه وبين علي من العداوة والحروب كان يضطر مرات لإيفاد مبعوثين خفية إلى علي عليه السلام لأخذ الإجابة الصحيحة على أسئلة موجهة إليه لم يستطع معرفة جوابها، أو قضايا عويصة عجز هو ومن معه من إيجاد حلّ لها.

وهو عليه السلام كان حريصاً كل الحرص ليغذي أبناء الأمة الإسلامية بما يحمله من علم في كافة المجالات، وكان يتحين الفرص ليُبوح بما بين جوانحه ليستفيد منها عشاق المعرفة بمختلف أنواعها.

فتارة يقول: من يشتري علماً بدرهم ؟. ويقصد أن يشتري أحد الورق بهذا المبلغ ليملي عليه من علمه ويدونه السامع في

ومرة يبحث من أمامه من الناس على توجيه الأسئلة إليه قائلاً: سلوا؛ ولو إنساناً سأل.
ويصرخ بأعلى صوته مرات عديدة: أَلَا رَجُلٌ يَسْأَلُ فَيَنْتَفِعُ وَيَنْتَفِعُ جُلَسَاءَهُ؟.

وفي مكان آخر يقول: إِنَّ تَحْتَ الْجَوَانِحِ مِنِّي لَعِلْمًا جَمًّا فَاسْأَلُونِي.

ومرة يتأسف على افتقاده ذوي العقول المستوعبة للعلم من حوله بالقول: هَاهِ هَاهِ إِنَّ هَاهُنَا [مشيراً إلى صدره بيده] لَعِلْمًا جَمًّا
عَلَّمَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً يَرَعُونَهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَيَرَوُونَهُ عَنِّي كَمَا يَسْمَعُونَهُ مِنِّي.

وعندما يوجه إليه أحد سؤالاً بالتحدي يقول عليه السلام له: سَلْ بِكُلِّ لِسَانِكَ، وَمَا فِي جَوَانِحِكَ، وَمَبْلَغِ عِلْمِكَ؛ فَإِنِّي مُجِيبُكَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِعِلْمٍ لَا تَخْتَلِجُ فِيهِ الشُّكُوكُ، وَلَا يَهِيْجُهُ دَنْسُ رَيْبِ الرِّبِّعِ.

ولما قام إليه رجل وقال: أسألك عن أربع مسائل: فقال عليه السلام: سَلْ وَإِنْ كَانَتْ أَرْبَعِينَ.

وعندما تواطأ عشرة من الخوارج على توجيه كل منهم على حده سؤالاً واحداً لأمير المؤمنين عليه السلام وفي مجلس واحد ليروا
كيف يجيب عليه، فاتفقوا على أن يسألوه عن العلم والمال وفضل أيهما. فلما أجاب علي كل واحد من العشرة جواباً مختلفاً عن
الآخر حول فضل العلم على المال، وأذعن أولئك الخوارج قائلين: لا شك أن علياً باب العلوم كلها. قال عليه السلام لمن حوله: وَاللَّهِ
لَوْ سَأَلَنِي الْخَلْقُ كُلُّهُمْ مَا دُمْتُ حَيًّا لَمْ أَتَبَرَّمْ، وَلَا جَبْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِجَوَابٍ غَيْرِ الْجَوَابِ الْآخِرِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

كيف لا وهذا حبر الأمة بالإجماع عبد الله بن عباس يقول عن علم علي عليه السلام: قُسم العلوم عشرة أجزاء تسعة في علي وواحد
في الخلق كلهم، ولقد شاركهم في العاشر.

ولما علم بقرب ارتحاله عن الدنيا جمع الناس وكرر عليهم القول: سلوني قبل أن تفقدوني مرات ومرات؛ مُخبراً الناس بقرب
ارتحاله عنهم بقوله: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَإِنِّي مُفَارِقُكُمْ، وَإِنِّي مَيِّتٌ عَنْ قَرِيبٍ أَوْ مَقْتُولٌ، بَلْ مَقْتُولٌ قَتْلًا ... وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ
وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَقَدْ عَاهَدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَتُخَضَّبَنَّ هَذِهِ (وضرب بيده على لحيته) بِدَمِ هَذَا (وأشار إلى
رأسه).

فتارة قال: سَلُونِي يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ كُلِّ مُدَّعٍ عِلْمَهُ.

وحرصهم على السؤال أيضاً إذ قال: لئنُ فَقَدْتُمُونِي لَنْ تَجِدُوا أَحَدًا يُحَدِّثُكُمْ حَدِيثِي.

وحتهم على الاستفادة من الفرصة الأخيرة قبل إضاعتها فقال: أَيُّهَا النَّاسُ؛ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا جَاهِلٌ مُدَّعٍ.
وفتح على كافة الناس مجال الأسئلة بالقول: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي؛ فَوَاللَّهِ مَا بَيَّنَّ لَوْحِي الْمُصْحَفِ آيَةً تُخْفِي عَلَيَّ مُوَكِّدًا
ابتلاء المسلمين بعده بسيطرة الجاهلين بالكتاب ومعانية والسنة النبوية الصادقة والصحيحة: وَاللَّهِ لَا تَلْقَوْنَ أَحَدًا يُحَدِّثُكُمْ ذَاكُمْ
بَعْدِي حَتَّى تَلْقَوْا نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

ويفسر عليه السلام قوله الآنف الذكر في العبارة التالية: سَلُونِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ آيَةِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
- عَزَّ وَجَلَّ - لِأُحْبَبْتُكُمْ بِوَقْتِ نُزُولِهَا، فِي لَيْلٍ نَزَلَتْ أَوْ فِي نَهَارٍ، وَمِمَّا نَزَلَتْ، وَفِيْمَنْ نَزَلَتْ، أَفِي مُؤْمِنٍ أَوْ فِي مُنَافِقٍ، وَفِي أَيِّ
مَكَانٍ نَزَلَتْ، فِي سَهْلٍ أَوْ فِي حَضِيضٍ جَبَلٍ؛ وَأَنْبَأْتُكُمْ بِنَاسِخِهَا مِنْ مَنَسُوخِهَا، وَخَاصِّهَا مِنْ عَامِّهَا، وَمُحْكَمِهَا مِنْ
مُتَشَابِهِهَا، وَتَأْوِيلِهَا [مِنْ] تَنْزِيلِهَا، وَمَكِّيَّهَا مِنْ مَدَنِيَّهَا، وَسَفَرِيَّهَا [مِنْ] حَضْرِيَّهَا.

ويبين عليه السلام مصدر علمه الغزير هذا بالقول:

وَاللَّهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، وَلَا مَسِيرٍ وَلَا مُقَامٍ، إِلَّا وَقَدْ أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ فَأَكْتُبُهَا بِخَطِّي، وَعَلَّمَنِي تَفْسِيرَهَا وَتَأْوِيلَهَا.

فَمَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، وَلَا سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ، وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ، وَلَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةٍ، وَلَا جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، وَلَا ضِيَاءٍ وَلَا ظُلْمَةٍ، إِلَّا أَقْرَأْنِيهَا وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ، فَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي؛ وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا، وَتَأْسِخَهَا وَمَنْسُوخَهَا، وَمُحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَكَيْفَ نَزَلَتْ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَفِيمَنْ نَزَلَتْ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

... وَمَا تَرَكَ شَيْئاً عَلَّمَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ، وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ، وَمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا كِتَابٍ مُنْزَلٍ عَلَيَّ أَحَدٍ قَبْلَهُ فِي أَمْرٍ بِطَاعَةٍ، أَوْ نَهْيٍ عَنِ مَعْصِيَةٍ، إِلَّا عَلَّمَنِيهِ وَحَفِظْتُهُ، فَلَمْ أَنْسَ مِنْهُ حَرْفاً وَاحِداً.

ويقول أيضاً: يَا مَعْاشِرَ النَّاسِ؛ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي. سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، وَيضرب على صدره قائلاً: هَذَا سَفْطُ الْعِلْمِ. هَذَا لِعَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. هَذَا مَا زَقَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زَقًّا مِنْ غَيْرِ وَخِي أُوجِي إِلَيَّ. لَقَدْ أَسْرَّ إِلَيَّ أَلْفَ مَسْأَلَةٍ، فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ أَلْفُ بَابٍ، فِي كُلِّ بَابٍ أَلْفُ نَوْعٍ.

ويقول أيضاً في مكان آخر: وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَأَصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً؛ وَلَقَدْ عَاهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كَلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَالِ هَذَا الْأَمْرِ؛ وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَعُهُ فِي أُذُنِي، وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

ويقول كذلك: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَثَتِي عِلْمُهُ وَعِلْمُ النَّبِيِّينَ وَمَا هُوَ كَائِنُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ويقول في مقام آخر: مَا يَفُوتُنِي مَا عَمِلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَا مَا طَلَبَ، وَلَا يَعْزُبُ عَلَيَّ مَا دَبَّ وَدَرَجَ، وَمَا عَسَقَ وَانْفَرَجَ، وَمَا هَبَطَ وَمَا عَرَجَ.

وكمثال صغير على مدى علمه بالقرآن يقول عليه السلام:

لَوْ شِئْتُ لَأَوْقَرْتُ سَبْعِينَ بَعيراً فِي تَفْسِيرِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ.

ويخرج عليه السلام القرآن الكريم من الأفق المحدود ليشمل الكون ماضياً وحاضراً ومستقبلاً بالقول: سَلُونِي عَنِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ فِي الْقُرْآنِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

ويقول أيضاً: وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ وَأَكْرَمَ أَهْلَ بَيْتِهِ، إِنَّ فِي الْقُرْآنِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛ وَمَا مِنْ شَيْءٍ تَطْلُبُونَهُ إِلَّا وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ؛ فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ.

ويدلل على ما يحتوي القرآن عدا أحكام الحلال والحرام إلى تحديد مآل كل الناس ومصيرهم ومستقبلهم بالقول: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ مَرَّتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ لَهُ آيَةً أَوْ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - تَقُودُهُ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ تَسُوقُهُ إِلَى النَّارِ.

ويوسّع الإطار ليشمل مختلف الناس بالقول: أُقْسِمُ بِرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَوْ شِئْتُ أَخْبَرْتُكُمْ بِآبَائِكُمْ وَأَسْلَافِكُمْ مِمَّنْ كَانُوا، وَأَيْنَ كَانُوا، وَأَيْنَ هُمْ الْآنَ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ.

ويخاطب الناس من حوله بالقول: وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ.

ويعمم الأمر ليشمل كل الحوادث المستقبلية بقوله: وَلَوْ شِئْتُ لَأُخْبِرْتُكُمْ بِمَا يَأْتِي وَيَكُونُ مِنْ حَوَادِثِ دَهْرِكُمْ، وَتَوَائِبِ زَمَانِكُمْ، وَبَلَايَا أَيَّامِكُمْ، وَغَمْرَاتِ سَاعَاتِكُمْ.

ويبرر تمنعه عن بيان بعض الأمور للعامة من الناس بقوله: أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ثم يعلن أنه سيفضي هذا العلم إلى النخبة الذين تتحمل عقولهم هذا الحجم من العلم بقوله: أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ ذَلِكَ مِنْهُ، مَخَافَةً عَلَيْكُمْ، وَتَظَرًّا لَكُمْ، عِلْمًا مِنِّي بِمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا تَلْقَوْنَ مِنَ الْبَلَاءِ الشَّامِلِ. ولما سأله أحدهم عما يكون من الأحداث بعد ظهور القائم من آل محمد حتي قيام الساعة ونهاية الكزن والحياة يقول عليه السلام:

ذَلِكَ شَيْءٌ ذَكَرَهُ مُوَكَّلٌ إِلَيْهِ؛ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَهْدَ إِلَيَّ أَنْ لَا أُخْبِرَ بِهِ إِلَّا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ. هذا بالنسبة لعلمه في إطار الإسلام وفيما ينفع أبناء الأمة الإسلامية في الدين والدنيا ومعرفته بما سيكونون عليه وما سيكون عليهم.

أما أن يكون إمام المسلمين وفقهه الامة الإسلامية والحاكم للدولة الإسلامية قادراً على التربع على دكة القضاء لغير المسلمين وإصدار الأحكام القضائية لأهل التوراة وأهل الإنجيل وفقاً لكتبهم السماوية إلى حد أن ينطق كل كتاب بالقول إن قضاء علي هو الحق بعينه وإن فتاواه مطابقة للضوابط الأصلية لذلك الدين السماوي، فهذه الميزة تفرد بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بل إنه عليه السلام صرح بأن مجال علمه وتفوقه على غيره لا ينحصر بمجال القرآن الكريم مع ما فيه من علم الأولين والآخرين، لكنه يتوسع ليشمل سائر الكتب السماوية عندما يقول: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي؛ فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ إِنِّي لَأَعْلَمُ بِالتَّوْرَةِ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ بِالْإِنْجِيلِ مِنْ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ.

ويكشف عليه السلام عن واقعة هامة جداً حيث يصرح بأنه يملك النسخة الأصلية للتوراة التي أنزلها الله على النبي موسى على نبينا وآله وعليه السلام، والتي أورتها وصيه يوشع، ويشرح كيفية حصوله عليها بالقول: إِنَّ يُوْشَعَ بْنَ نُونٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ وَصِيَّ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَكَانَتْ أَلْوَاحُ مُوسَى مِنْ زُمُرَّدٍ أَخْضَرَ.

فَلَمَّا غَضِبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ مِنْ يَدِهِ؛ فَمِنْهَا مَا تَكَسَّرَ، وَمِنْهَا مَا بَقِيَ، وَمِنْهَا مَا ارْتَفَعَ. فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْغَضَبُ قَالَ لَهُ يُوْشَعَ بْنُ نُونٍ: أَعِنْدَكَ تَبْيَانُ مَا فِي الْأَلْوَاحِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَلَمْ يَزَلْ يَتَوَارَثُونَهَا، رَهْطٌ مِنْ بَعْدِ رَهْطِ، حَتَّى وَقَعَتْ فِي أَيْدِي أَرْبَعَةِ رَهْطٍ مِنَ الْيَمَنِ. وَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِتُهَامَةَ، وَبَلَّغَهُمُ الْخَبْرَ. فَقَالُوا: مَا يَقُولُ هَذَا النَّبِيُّ؟

قِيلَ: يَنْهَى عَنِ الْخَمْرِ وَالزَّيْنِ، وَيَأْمُرُ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَكَرَمِ الْجَوَارِ. فَقَالُوا: هَذَا أَوْلَى بِمَا فِي أَيْدِينَا مِنَّا. فَاتَّفَقُوا أَنْ يَأْتُوهُ فِي شَهْرِ كَذَا وَيَوْمَ كَذَا.

فَأَوْحَى اللَّهُ - تَعَالَى - إِلَى جِبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ آتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبِرْهُ الْخَبْرَ.
فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا وَرِثُوا أَلْوَاخَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ يَأْتُونَكَ فِي شَهْرٍ كَذَا وَيَوْمٍ كَذَا وَلَيْلَةٍ كَذَا.
فَسَهَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ.
فَجَاءَ الرَّكْبُ، فَدَقُّوا عَلَيْهِ الْبَابَ وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ.

قَالَ: نَعَمْ. يَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ؛ أَيَّنَ الْكِتَابِ الَّذِي تَوَارَثْتُمُوهُ مِنْ
يُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَصِيِّ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

قَالُوا: نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. وَاللَّهُ مَا عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ قَطُّ مُنْذُ وَقَعَ عِنْدَنَا، قَبْلَكَ.
فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ... فَدَفَعَهُ إِلَيَّ ... فِيهِ عِلْمٌ مَا خَلَقَ اللَّهُ مُنْذُ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَى أَنْ تَقُومَ
السَّاعَةُ.

وبناءً عليه يوضح عليه السلام سعة العلم المخزون عنده بالقول: وَلَقَدْ اسْتُودِعْتُ عِلْمَ الْقُرُونِ الْأُولَى، وَمَا هُوَ كَأَنَّ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ.

وعلى أساس ذلك كان ينادي في كل مناسبة: إِسْأَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ فَاتِحًا الْبَابَ لِكُلِّ أَلْوَانٍ وَأَصْنَافٍ الْأَسْئَلَةِ دُونَ تَحْدِيدِ مَجَالِهَا
وخلفية سائلها ووجهتها.

ويردد عليه السلام مراراً عبارة: سلوني بصياغات مختلفة؛ فتارة يقول: سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، فَإِنَّ عِنْدِي عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.
وتارة أخرى يقول: سَلُونِي عَنْ أَسْرَارِ الْغُيُوبِ، فَإِنِّي وَارِثُ عُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.
ومرة يقول: سَلُونِي عَمَّا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعَمَّا كَانَ عَلَى عَهْدِ كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ.
وتارة يقول: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي؛ فَوَاللَّهِ مَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ مَضَى وَلَا شَيْءٍ يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ.
ثم يقول: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِي مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ أَرْضٍ مُخْصَبَةٍ وَلَا عَنْ أَرْضٍ مُجْدَبَةٍ،
وَلَا عَنْ فِئْتَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً، وَلَا عَنْ فِئَةٍ خَرَجَتْ تَقَاتِلُ مِائَةً فَمَا فَوْقَهَا مِمَّا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، إِلَّا وَلَوْ شِئْتُ أَنْبَأْتُكُمْ
بِنَاعِقِهَا، وَقَائِدِهَا، وَسَائِقِهَا، وَمُنَاحِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا؛ وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قِتْلًا، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا؛ وَيَخْرَابِ الْعَرَصَاتِ
عَرَصَةً عَرَصَةً، مَتَى تَخْرُبُ، وَمَتَى تَعْمُرُ بَعْدَ خَرَابِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وفي مكان آخر يقول: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ؛ لَوْ أَشَاءُ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِخَرَابِ الْعَرَصَاتِ عَرَصَةً عَرَصَةً مَتَى تَخْرُبُ، وَمَتَى
تَعْمُرُ بَعْدَ خَرَابِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ وَإِنَّ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ عِلْمًا جَمًّا؛ وَإِنَّ تَسْأَلُونِي تَجِدُونِي بِهِ عَالِمًا، لَا أُحْطِي مِنْهُ عِلْمًا وَلَا ذَا فِتْنَاءٍ.

ولبيان مدى علمه وثقته بما سيحدث في المستقبل القريب والبعيد يذكر عليه السلام جملة من الأحداث ثم يقول: فَوَالَّذِي فَلَقَ
الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، لَيَكُونَنَّ ذَلِكَ؛ وَكَأَنِّي أَسْمَعُ صَهِيلَ خَيْلِهِمْ، وَطَمَطَمَةَ رِجَالِهِمْ.

فإذا كان علي أمير المؤمنين عليه السلام الذي عرف القرآن الذي فيه: عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. وعنده التوراة التي فيها عِلْمٌ مَا
خَلَقَ اللَّهُ مُنْذُ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. والذي زقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العلم زقاً فهل يكون
عجيباً منه أن يقول: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَا نَا بِطَرِيقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطَرِيقِ الْأَرْضِ.
وأن يقول: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ دُونَ الْعَرْشِ إِلَّا أَخْبَرْتُ عَنْهُ.

وَأَنْ يَقُولَ: لَقَدْ عَلِمْتُ مَا فَوْقَ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى، وَمَا تَحْتَ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْثَّرَى.

وَأَنْ يَقُولَ: لَقَدْ نَظَرْتُ فِي الْمَلَكُوتِ بِإِذْنِ رَبِّي - جَلَّ جَلَالُهُ - ، فَلَمْ يَعْرُزْ عَنِّي شَيْءٌ غَابَ عَنِّي، وَلَمْ يَقْتُنِي شَيْءٌ مِمَّا سَبَقَنِي،
وَلَا شَيْءٌ مِمَّا يَكُونُ بَعْدِي.

وَأَنْ يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ: بِمَهْلِكِكَ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَالٍ هَذَا الْأَمْرِ؟.

والجدير ذكره في هذا المجال أن علياً عليه السلام قد أجاب على كل الأسئلة التي وُجِّهت إليه وفي كافة المواضيع في مجلس
واحد وخلال خطبة واحدة وهي المسماة " خطبة البيان ". والتي تشكل مجلداً كاملاً من المجموعة المسماة " تمام نهج البلاغة ".
إضافة إلى بيانه لكثير من الأمور الهامة في وصيته المعروفة بـ " الوصايا الأربعمئة " وفي " خطبة الوسيلة ". على سبيل المثال فقط.
ولم يتوقف حتّى علي عليه السلام الناس على الاستفادة من علمه حتى آخر رمق من حياته وهو في ساعات الاحتضار بعد ما
نزل السمّ في جميع بدنه، إذ طالب الذين جاؤوا إليه أفواجاً للقائه والسلام عليه وهو يُكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم بقوله: سلوني قبل أن تفقدوني، مما اضطرّ الأمام الحسن المجتبي عليه السلام إلى القول للناس: سلوا وخففوا عليه السؤال.
وبعد مغادرة الناس مجلسه وجّه نظره نحو عبد الله بن عباس قائلاً: يَا ابْنَ الْعَمِّ؛ تُرِيدُ أَنْ تَسْأَلَنِي عَنْ مَسَائِلَ؟.

ولمّا أجاب ابن عباس بالإيجاب وانه أضمر ٧٠ سؤالاً في نفسه ولكنه ترك الكشف عنها إشفافاً عليه ومراعاة لحالته الصحية
الحرجة. بادره الإمام عليه السلام بطرح الأسئلة الكامنة في نفسه كما يُصرّح ابن عباس نفسه بالقول: فقال عليه السلام لي: شَرِّحْ
الْمَسْأَلَةَ الْفُلَانِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، وَالْمَسْأَلَةَ الْفُلَانِيَّةَ كَذَا وَكَذَا. ولم يزل يفسّر ما في نفسي حتى احتوى على جميع ما في نفسي. وأوصاني
وأخبرني بكثير من الأحكام ونحن ننظر إليه ورجلاه قد احمرتا جميعاً، وجعل يرشح جبينه عرقاً وهو يمسح عرقه بيده.

أيها الإخوة والأخوات؛ نحن في هذه المناسبة وهذا اليوم أمام هذه الشخصية الفريدة الفذة التي ليس في تاريخ الأمة الإسلامية
فحسب، بل في تاريخ البشرية بعد محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتي لم يُتَحَ أمامها المجال لتتبرر الأمم والشعوب بنور
العلم والمعرفة في حال الحياة بفعل الأزمان التي تمّ افتعالها في وجهه، والحروب الطاحنة التي فرضت عليه؛ وبعد استشهاده ثمّ
التواطؤ طوال القرون من قبل أعداء العلم والمعرفة لطمس ما ترك من كنوز لا تقدّر بثمن للأجيال المقبلة وفُرضت أجواء القمع
والقتل على المقربين من علي عليه السلام مما اضطر بعض الرواة ممن دوّنوا شيئاً من كلامه إلى دفن ما عندهم تحت التراب في
محاولة لإبعاده عن أيدي الحاقدين، لعل أحداً في المستقبل يتوفّق لاكتشاف الكنز المدفون والاستفادة من العلم المخزون، وبعض
أصرّ على بيان ما في صدره ولو باسم كناية كقوله: عن رجل من بني هاشم، أو رجل من قريش. وفي بعض الحالات كان يضطر
الراوي إلى بيان كلام غلي عليه السلام باسم: أعرابي. وأحياناً كانت تمرّر درر كلام أمير المرمين عليه السلام باسم: أحد الحكماء.
ومرات تمت مصادرة كلام أمير العلم وسيد الكلام ونسبتها إلى من لا يمتّ إلى العلم والمعرفة بصلة من الحكام والسلاطين.

وبين هذه وتلك من الظروف الصعبة جداً ظهر كتاب " نهج البلاغة " وهو مختارات سيدنا الشريف الرضي رضوان الله عليه مما
وقع تحت يده من دُرر بليغ كلام علي أمير المؤمنين عليه السلام، ولحسن الحظ لم تتمكن الأيدي من مصادرة أو إخفاء أو إضاعة
هذا الـبَيْفَرِ القيم طوال أكثر من ألف سنة لأسباب لا يسع هنا الوقت لبيانها.

وقد ذاع صيته في الآفاق حتى نسي الناس إسم جامعته وصار في ذهن غالبية المستمعين أن نهج البلاغة هو لعلي بن أبي طالب
عليه السلام.

ومن هنا انبرى بعض الحاقدين من هنا وهناك لينسبوا هذا الكتاب وما فيه إلى السيد الرضي رضوان الله عليه هرباً من الإذعان
بعظمة صاحب الكلام الحقيقي.

واستغل بعض الجاهلين عدم ذكر الشريف الرضي عموماً مصادر ما أورده في كتابه وأسانيد الروايات التي ذكرها لكونه كتب هذا

الكتاب بناءً على طلب بعض خلص تلامذته الذين يثقون به وبصدقته وتعمقه ولا يحتاجون منه إلى ذكر المصدر والسند.

وفي هذا المجال نجد الشريف الرضي نفسه يبين باختصار ظروف تأليفه كتاب "نهج البلاغة" بالقول: "فإني كنت في عنفوان السن، وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام، يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته إمام الكلام، وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام وعاقبت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام ومماطلات الزمان.

وكنت قد بويت ما خرج من ذلك أبواباً، وفصلته فصولاً؛ فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نُقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب، دون الخطب الطويلة، والكُتب المبسوطه.

فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدايعه، ومتعجبين من نواصعه، وسألوني عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، ومتشعبات غصونه: من خطب، وكُتب، ومواعظ، وأدب. علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواب الكلم الدينية والدينية، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب؛ إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها؛ ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها؛ وعلى أمثلته هذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وقد تقدم وتأخروا؛ لأن كلامه الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي. فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع، ومنشور الذكر، ومذخور الأجر."

ولقد من الله علي منة من أعظم المنن أن وفقني للدخول في مجال التحقيق والبحث عما تركه الشريف الرضي لسبب من الأسباب التي ذكرها في مقدمته أو لم يدركه بسبب الظروف الخاصة بذلك الزمان والتي أسلفنا ذكر بعضها، وقد جُلت من أجل الوصول إلى الكتب التي فيها شيء من كلام علي عليه السلام مختلف البلدان وذهبت لأجل الحصول على ضالتي الثمينة إلى ما أمكنني من المكتبات في شتى الأصفاع، ومضى على بحثي حتى يومنا هذا إثنان وعشرون عاماً أعدّها من أفخر الأيام، وفتشت حتى الآن في أكثر من ثمانين ألف كتاب بحثاً عن كلمة أو لفظة أو سند لكلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام أملاً أن أنال يوم الحشر شفاعه صاحب الشفاعة وساقى الحوض وأن أتشرف بنيل الصك الذي يخولني الدخول إلى الجنان.

وقد مررت في عملي هذا في ثلاث مراحل حتى الآن: فالمرحلة الأولى هي التي أثمرت "تمام نهج البلاغة" النسخة المشروحة والتي بلغ عدد مصادرها ٢٩. ودوّنا في هامش كل صفحة شرحاً مُدمجاً لأربعة شُراح من مبرزّي علماء أهل السنّة، وهم: الوبري، والبيهقي، والشيخ محمد عبده، والدكتور صبحي الصالح.

والمرحلة الثانية هي التي نتج عنها "تمام نهج البلاغة" النسخة الموثقة التي بلغ عدد مصادرها المائة، واستبدلنا الشرح في الهامش بذكر المصادر وأرقام صفحاتها. وهي التي أعلنتها مؤسسة نهج البلاغة في طهران كتاب العام في مؤتمرها السنوي. وفي المرحلة الثالثة توسع مجال التبحر والتحقيق فبلغ عدد مصادر "تمام نهج البلاغة" النسخة المُسنّدة حوالي الثمانمائة إضافة إلى أننا أوردنا مع المصادر أسانيد الروايات مفصلاً. وقد أعلنت الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة هذه النسخة "كتاب العام".

وأنا اليوم أمامكم أعلن أنني قد حصلت على أكثر من مائتين من المصادر بعد إنجاز النسخة المُسنّدة وزيادة على المصادر السابقة حتى نافذ المصادر عن الألف، وذلك من خلال استمرار البحث والجولان في مختلف المكتبات والتفتيش في كافة الكتب التي يمكن أن تحتوي على كلام لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وإتي هنا إذ أقدم شكري وامتناني لكل من أمّدي طوال فترة بحثي وعملي بكل كتاب أو مصدر أو أرشدني برأي أو نصيحة، أو ساهم في إنجاز النسخة وطبعها ووضعها في متناول عشاق العلم والمعرفة، أقبل من جديد يد كل من يسهل لي الوصول إلى ما لم أصل إليه بعد، وأستجدي مزيداً من المصادر لأكمل عملي، مع علمي بأن الإكمال أمر يشبه المستحيل.

وأتمنى ممن يمكنه العون في إنجاز المراحل المقبلة لعملنا المساهمة في هذا المشروع الذي ينتمي إلى صاحب المشروع دون غيره وهو أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ ومنه يأخذ الأجر، وإليه يروم الزلفى في يوم الحساب. وأستعين الله ربي في عملي هذا وأسأله القبول مني، وأرجوه التفضل علي بالرحمة والمغفرة يوم لا ينفع ما ولا بنون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته